

{ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ } .

هذا تهديد منه تعالى لهم بأن مصيرهم إلى النار وذلك المتاع القليل في

الدنيا لا يجدي من مصيره إلى النار وبين هذا المعنى في آيات كثيرة

كقوله : { قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ } [الزمر : 8]

وقوله : { نُمَتَّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ } [لقمان : 24]

وقوله { مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا

كَانُوا يَكْفُرُونَ } [يونس : 70] وقوله : { لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا

فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ } [آل عمران : 196 – 197]

الآية إلى ذلك من الآيات .

وقوله تعالى : { وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزِنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا

عَمَلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ نُمَتَّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ

غَلِيظٍ } [لقمان : 2324] وقوله تعالى : { قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا

ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [البقرة : 126] وقوله

تعالى : { قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي

الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } [

يونس : 6970] إلى غير ذلك من الآيات .

والفاء في قوله : فلا يغورك ، سببية أي لا يكن تقلبهم في بلاد الله .

متنعمين بالأموال والأرزاق ، سبباً لاغترارك بهم ، فتظن بهم ظناً حسناً

لأن ذلك التنعم ، تنعم استدراج ، وهو زائل عن قريب ، وهم صائرون إلى الهلاك والعذاب الدائم .

وقوله تعالى : { قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } [يونس : 69 - 70]

أن أناساً من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون : إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد . فإن قلت : كيف جاز أن يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى ينهي عن الاغترار به؟ قلت : فيه وجهان أحدهما أن رأس القوم ومتقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعاً ، فكأنه قيل : لا يغرنكم والثاني : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه ، كقوله : { وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ } [هود : 42] ، { وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام : 14] ، { فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِبِينَ } [القلم : 8] وهذا في النهي نظير قوله في الأمر { اهدنا الصراط المستقيم } [الفاتحة : 6] ، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا } [النساء : 36] وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب ، وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب ، لأنّ التقلب لو غرّه لاغتر به ، فمنع السبب ليمتنع المسبب . وقرىء : « لا يغرنك » بالنون الخفيفة { متاع قليل } خبر مبتدأ محذوف ،

أي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد ، أراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة ، أو في جنب ما أعدّ الله للمؤمنين من الثواب ، أو أراد أنه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (245) " ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم ، فلينظر بم يرجع " { وَبِئْسَ الْمِهَادُ } وساء ما مهدوا لأنفسهم .

وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (30) قوله تعالى : { قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ } .

هذا تهديد منه تعالى لهم بأن مصيرهم إلى النار وذلك المتاع القليل في الدنيا لا يجدي من مصيره إلى النار وبين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله : { قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ } [الزمر : 8] وقوله : { نُمَتَّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ } [لقمان : 24] وقوله { مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } [يونس : 70] وقوله : { لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ } [آل عمران : 196 - 197] الآية إلى ذلك من الآيات .

{ 196 - 198 } { لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِلْأَبْرَارِ { .

وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع
الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب
واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله { متاع
قليل { ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلا ويعذبون عليه طويلا
هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه.

(فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (55) التوبة

(حسن) قال عمر رضي الله عنه استأذنت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخلت عليه في مشربة وإنه لمضطجع على خصفة إن بعضه لعلی
التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفا وإن فوق رأسه لإهابا عطنا وفي
ناحية المشربة قرظ فسلمت عليه فجلست فقلت أنت نبي الله وصفوته
وكسرى وقيصر على سر الذهب وفرش الديباج والحريز فقال أولئك
عجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وأنا قوم أخرت لنا طيباتنا في
آخرتنا

عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
على حصير قال فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير
قد أثر في جنبه وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع وقرظ في ناحية في

الغرفة وإذا إهاب معلق فابتدرت عيناى فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقال يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصر قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك **كسرى** وقيصر في الشمار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك قال : يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ قلت بلى

رواه ابن ماجه بإسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم { فلا **يغرك** تقلبهم في البلاد } أي آمينين معافين في أبدانهم وأرزاقهم فإنهم مهملون لا مهملون ، والدليل فقد كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعد قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وفرعون ، وقد همت كل أمة من تلك الأمم برسولها لتأخذه فتقتله أو تنكل به . وقد جادلوا بالباطل كما جادل . قومك من قريش ليدحضوا به الحق اي ليزيلوه ويبعدوه بباطلهم . فأخذتهم فكيف كان عقاب أي كان واقعاً موقعه والحمد لله إذ قطع الله دابرهم وأ ، هي وجودهم وخصومتهم .

وقوله { وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم اصحاب النار } أي كما وجب حكمه بإهلاك تلك الأمم المكذبة لرسولها الهامة بقتلها وقد أهلكتهم الله فعلاً حقت كلمة ربك على الذين كفروا لأنهم اصحاب النار والمراد من كلمة ربك لأملأن جهنم الآية .

وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا

لِمَنْ أَحَبَّ فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ

" يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرَكَهُ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ

وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ " أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ 4013 وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ

: { إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ } [

لقمان : 33] ، وقوله في أول فاطر { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا

تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ

فاتخذوه عدوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فاطر :

5 - 6] وقوله تعالى في آية لقمان وآية فاطر المذكورتين { إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ

حَقٌّ

{ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ } يتمتع بها ويتنعم قليلا ثم تنقطع

وتضمحل ، فلا **تغرنكم** وتخدعنكم عما خلقتم له

قَالَ « فَأَبْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنِّي

أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا

كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ » البخاري